

عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 60 / تشرين الثاني 2015

وكالة قمرقة - جواد قربي
حي الزبدية - حلب

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina



الرقعة تذبج بخسة

صباح يوم الجمعة الماضي عُثر على إبراهيم عبد القادر، أحد مؤسسي حملة «الرقعة تذبج بصمت»، المدير التنفيذي في مجلة «عين على الوطن»، وفارس حمادي، رئيس قسم المونتاج في المجلة نفسها؛ ذبيحين على يد «صديق» لهما في مدينة أورفا التركية. انتمى القاتل سابقاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وانشق عنه منذ أشهر، كما زعم، وبعد أن قضى في سجنه مدة، كما يقول مقربون. ولكن لا يبدو أن هناك دافعاً آخر لديه للقتل سوى إيمانه بداعش وتبنيه أساليبها، وإن كان التنظيم نفسه لم يصدر شيئاً عن هذه العملية التي تناقل أنصاره خبرها شامتين. وربما لم تكن له علاقة مباشرة بها بالفعل، بل دليل ركافة العملية وخلوها مما تحرص دولة الإصدارات على إظهاره واستثماره في مناسبات كهذه، من الاعتراف بالعمالة للغرب والانتماء إلى «الصحات»، والتفنن المرضي بالقتل إثر ذلك.

يرى البعض أن طلاس سرور، وهو اسم القاتل، خادع الناشطين بزعم انشاقه عن التنظيم، كما خادعهما حين أقاموا في منزل مشترك أو سكن متداخل. ربما كان هذا صحيحاً، وربما استيقظت في نفسه جرثومة القتل بعد أن ترك التنظيم بالفعل وحنّ إلى أيامه فيه. المهم أن من نالته أنياب تنظيم البغدادي ونقلت إليه عدواها شفاؤه صعب، وردّته إلى التوحش دائية. فما بالنّا نرحب بكل من ينشق عنه أو يزعم ذلك، متناسين ما شارك فيه من إجرام، بنسبة أو بأخرى، أثناء وجوده في التنظيم، في ظل غياب معلومات دقيقة ومسؤوليات محددة وأجهزة قضاء مستقل ونزيه؟

وكيف نأمن فيروس القتل والتلذذ فيه بعد أن دخل نفوساً ربما صارت تحتاج إلى علاج بالفعل مما أوغلت فيه من عته وتجبر ودموية مستسهلة، بل عابثة! وها هو ابن التنظيم يفعل ما سبق أن فعله التنظيم ذاته من خيانة من قبل، في الرقعة ودير الزور وحلب وإدلب وريف دمشق... إلخ؛ يستغل ثقة أصدقائه ليغدر بهم، في سلوك لا يحوز الحد الأدنى من الأخلاق المفترضة في توجّه ينتحل خطاب الدين.

تعازيننا لأسرتي الفقيدتين وأحبائهما، ولحملة «الرقعة تذبج بصمت» وللمجلة الزميل «عين على الوطن». ونسأل الله أن يشدّ من أزر «الصحات» ومن والها، ومن تبعها بأخلاق إلى يوم الدين.

11-10 حقوق السوريين في تركيا

13 نحو مجلس محافظة لدير الزور

16 العدناني الجزل

17 كتاب داعش لنخبة المعلمين

4 الواجب الأخلاقي والوظيفي لدى داعش

6 أبو الزبير: كان عونطجي وأصبح قاضي

7 في تذكر فؤاد أحمد

8 داعش تحاصر حلب



اجتماعات فيينا..

مقدمة لبحث الحل أم للحرب المفتوحة؟

■ هيئة التحرير

بعد أن اجتمع وزراء خارجية أميركا وروسيا وتركيا والسعودية في فيينا الأسبوع الماضي لبحث الملف السوري، خرج الاجتماع من دون أي نتائج سوى الدعوة إلى اجتماع أوسع يضم كل الأطراف المعنية. وعلى هذا الأساس عقد اجتماع فيينا الثاني بغياب ممثلي المعارضة والنظام، في ما يبدو أنه اتفاق غير معلن من قبل الدول المؤثرة على أن الهدف الأساسي للمرحلة الحالية هو التوصل إلى اتفاق وحلول وسط في مواقف هذه الدول قبل أن يتم الحديث عن آلية تطبيق ذلك في الميدان السوري الغيب عن صنع القرار.

الخلافات الدولية

خرج اجتماع فيينا الثاني بالاتفاق على ورقة ثوابت عامة من تسع نقاط أبرزها:

- وحدة الأراضي السورية واستقلالها وسيادتها.
- المحافظة على مؤسسات الدولة السورية.

- أن تتم هزيمة داعش والمنظمات المصنفة إرهابية لدى الأمم المتحدة.
- أن يتم العمل على دعوة الأطراف السورية للاتفاق على عملية سياسية وفقاً لبيان جنيف 2012 والقرار الدولي رقم 2118، تفضي إلى سلطة ذات مصداقية، كاملة الصلاحيات، غير طائفية، تمهيداً لانتخابات حرة وعادلة يشارك فيها كل السوريين في الداخل والشوات تحت إشراف الأمم المتحدة.
- سيقوم المشاركون، بالتعاون

مع الأمم المتحدة، باستكشاف طرق لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء البلاد. على أن يتم تحديد تاريخ معين لذلك بالتوازي مع العملية السياسية.

تبدو معظم هذه البنود ثوابت عامة سبق وأن أقرت في العديد من الاجتماعات الماضية، وعلى رأسها اتفاق جنيف. فيما لم يشرح شيء عن النقاشات التفصيلية التي جرت بين الدول المختلفة في المواقف، سوى أن وزراء الدول المجتمعة سيعاودون اللقاء في غضون أسبوعين، بعد أن يقوموا «ببذل جهدهم لردم الفجوات وبناء اتفاق فيما بينهم». فزي حين تصرّ تصريحات كبار المسؤولين في السعودية وتركيا وفرنسا على إزاحة بشار الأسد، أو حتى جدولة ذلك زمنياً في حال الاتفاق على تشكيل هيئة حكم أو حكومة انتقالية، حتى لو لم تطرح هذه القضية بعد على طاولة مباحثات فيينا؛ جاء تصريح المتحدث باسم الرئاسة الروسية، ديمتري بيشكوف، حول هذه المسألة مناوراً حين قال: «سيترك الأمر للأطراف السورية». في الوقت الذي يتم فيه استدعاء الأسد إلى موسكو، وما لذلك من دلالات سياسية، تزامناً مع الإصرار الروسي على تغيير الواقع العسكري لصالح النظام، ما سيجعل المباحثات بين المحور التركي السعودي والمحور الروسي الإيراني خاضعة للفاعلية والنفوذ على الأرض، ما لم يتم تقديم تنازلات قابلة للتطبيق.

أوراق الضغط العسكرية

مثل مؤتمر فيينا الأخير، للمرة الأولى منذ قيام الثورة، تعبيرا

صريحاً عن الاستقطاب الدولي حول سورية، وبت الحديث عن التورط الدولي في البلاد مكشوفاً. وما التركيز على رصّ المعسكرين الأساسيين المؤثرين لصفيهما السياسيّين سوى مزيد من هذا الاستقطاب، في ظل تباين مصالح الدول وانخراطها بشكل جزئي أو كلي في الميدان. وفيما يسعى الروس إلى كسب الوقت وتحقيق الأهداف التي جاؤوا لرضها من خلال أكثر من 1600 غارة جوية -وفق وزارة الدفاع الروسية- استهدفت أغلبيتها المناطق المحررة والجيش الحر، فإن السعوديون والأتراك ومن معهم قاموا بزيادة الدعم العسكري للفصائل الثورية بما يتناسب وحجم وطبيعة المعارك القائمة. وقد ظهر هذا جلياً في صد هجمات الميليشيات الإيرانية وقوات النظام في ريف حلب الشمالي والجنوبي وسهل الغاب، فيما استطاعت فصائل الجيش الحر تحرير بلدة دورين ومناطق أخرى قريبة من بلدة سلمى الإستراتيجية في ريف اللاذقية، وكذلك استطاع جيش الفتح تحرير قرى سكيك ومعركبة ولحايا في ريف إدلب الجنوبي وحماة الشمالي ضمن ما يعرف بغزوة حماة.

على ضوء ذلك، لا تشير المعطيات السياسية والميدانية في المدى المنظور سوى إلى انتقال المعارك السياسية بين الأطراف الدولية إلى الميادين. وفي هذه الأثناء، ستعقد جلسات كثيرة وطويلة للتباحث والتوافق بين تلك الأطراف، مستخدمة أوراق الضغط التي بحوزتها، لكن سيبقى السوريون يكافحون لنيل حريتهم.

الواجب الأخلاقي والواجب الوظيفي لدى تنظيم الدولة الإسلامية

علي خطاب

قبل معاركه الأخيرة على جبهة العمال والبريد في مدينة دير الزور كان تنظيم الدولة قد جهّز طاقماً من المسعفين ووضع على أهبة الاستعداد لنقل المصابين في الاشتباكات أو القصف. لكنه، ومنذ اليوم الأول للمعارك، اكتشف فشل تلك الخطة التي هدفت، على ما يبدو، إلى حصر العمل بالمتخصصين والمسؤولين أمامه، أو الذين توجب عليهم أجورهم أن يعملوا لقاءها.



دورة إسعاف يقيمها التنظيم لعناصره

قد تبدو فكرة العمل مقابل المال هذه تحليلاً بقصد التشويه لولا تأكيدات عاملين في مشفى فارمكس على أن هذا ما أراد إيصاله إليهم المسؤول المالي في ديوان الصحة، مصري الجنسية. فقد طلب منهم الالتزام بأوقات الدوام المخصصة لهم فقط، وترك العمل الطوعي لساعات طويلة خارج ودياتهم، وذلك بعد اعتراضهم على إلغاء نظام المكافآت التي تتكفل بها منظمات خيرية. وقد حاول البعض أن يقنعه أن عملهم يعتمد على المبادرة والضمير رغم وجود تنظيم شكلي للورديات وتقاسم للعمل، وأن التقسيم الصارم للعمل لا يمكن تطبيقه في الحروب، خاصة في مهنة الطب، لكنه رفض التراجع.

رغم وجود هيكلية للعديد من العاملين الذين حاولوا سد الفراغ الذي أحدثته غياب عمل الدولة السورية، لكن هؤلاء اعتمدوا على النخوة والأخلاق الذاتية والاجتماعية في تسيير الأمور. وهو ما يفسر اتهامات الأهالي الحكومة المؤقتة بالسرقة حين لم تنجح في الاستفادة من «المخلصين». ورغم اتصاف العمل الطوعي المعتمد على النخوة بالكثير من الفوضى، واستغلاله وتجييره من قبل الكثيرين، إلا أن أحداً لم يستطع إيجاد بديل له. فتتنظيم الدولة، الذي فرض حظر التجوال أثناء المعارك، بدأ يرخي قبضته في هذا المجال، وراحت دورياته تتسامح مع الشباب الذين يخرجون بعد القصف لتقديم المساعدة (قسم من هؤلاء كانوا ناشطين أو مقاتلين في السابق). كما أن عناصر «الشرطة الإسلامية» الذين كانوا يطوقون مكان القصف لمنع الاقتراب والتأكد من أن النساء في المكان المتضرر لا يكشفن وجوههن، أصبحوا يفسحون المجال لتدخل شباب الجوار للإسعاف، خاصة بعد انتفاضات التجمعين بعد القصف عند وجود ضحايا أكثر وتأخر سيارات الإسعاف وتتصل بعض المسعفين من مهامه تحت ضغط الخوف.

وقد تكرر الأمر في أكثر من جبهة، حتى أن عدداً من الأمراء منح بعض الشباب وضعاً استثنائياً وخصوصاً ولم يمنعه من المشاركة في القتال، كما لم يلبّ عليهم للبيعة.

نظرياً، يربط منظرو التنظيم عمل عناصره وموظفيه بالأخلاق، مستندين إلى فكرة «مورثات الصلاح في الأمة»، لكنهم يحصرونها بعناصرهم ويجعلونها حكراً عليهم. وقد أكد أكثر من شخص حضر دورة شرعية أن الشرعيين يسخرون من مقولة المتصوفة عن عبادة الله بدافع الحب لا خوفاً ولا طمعاً، فهو مبدأ كاذب -بحسب هؤلاء الشرعيين- لأن الإنسان يجب أن «يعبد الله طمعاً بالجنة وخوفاً من النار». وفي محاولة القادة لضبط العناصر ضبطاً كاملاً يلجأون -من ضمن أشياء أخرى- إلى إجبارهم على القسم على أن يغيروا المنكر (المخالفات التي يحددها قانون التنظيم). وتحت وطأة هذا القسم سلم البعض آباءهم أو إخوتهم المدخنين، وصار البعض الآخر يراقب نساء عائلته. قد تكون محاولات التنظيم لصناعة الأتباع، واستبعاد من يرفض التبعية، استجابة أو انعكاساً لهوس قاداته بإقامة «دولة»، كما يحلل البعض، ولكن هل التنظيم هو المسؤول الوحيد عن ذلك؟

ولا يقتصر الأمر، عند أمراء التنظيم، على الكادر الطبي في توزيع الواجبات وقصرها على العاملين لديه، وتطبيق مبدأ العمل مقابل المال؛ بل يشمل جميع العاملين المدنيين غير المبايعين في الوظائف الإدارية والخدمية. ولعل مصطلح «مرتزقة»، الذي يطلقه أمراء كثير على أولئك العاملين، خير دليل على ذلك، رغم أجور هؤلاء الزهيدة بالمقارنة مع أجور عناصر التنظيم، واستثنائهم من مزايا عديدة يتمتع بها الآخرون. على أن اعتماد التنظيم على غير المبايعين يراه قاداته على أنه حاجة مرحلية، إذ يتم التخلي عن الموظفين متى توافر مباحث يستطيع القيام بعمله مكانه.

عندما بدأ جيش النظام هجومه على حويجة صكر، في نهاية العام الفائت، توجه مدنيون ومقاتلون سابقون في الجيش الحر إلى الحويجة لصد الهجوم وإسعاف الجرحى ومد يد العون، خاصة أن عناصر التنظيم لا يعرفون شيئاً عن الأرض هناك. وبعد امتصاص الصدمة الأولى للهجوم قام أمانيون من التنظيم باعتقال بعض الذين دخلوا ومضايقة البعض الآخر. وكاد الأمر أن يكون أكثر سوءاً لولا تدخل عناصر من التنظيم قاتل إلى جانبهم أولئك المعتقلون.

الطابور/الهاجس

سمهر الخالد

على مقربة من مدينة مارع بريف حلب، وفي مشهدٍ يكثر نظيره في سوريا اليوم، تقف سياراتٌ يتجاوز عددها المئة في طابور طويل على حاجز لتنظيم الدولة، منتظرةً عنصراً ملثماً يتسلى بجوآله للسماح لها بعبور ثغرة في ساتر ترابي طويلٍ يستخدم لصد هجومٍ محتمل، كما يحدّد نهاية الأراضي التي يسيطر عليها التنظيم. ينتظر سائقو السيارات، المقبلون من «أرض الخلافة»، كل في دوره، بصبرٍ وهذوءٍ لا يناسبان طابوراً بهذا الحجم. يتوقف تدفق السيارات الخارجة إلى حين دخول تلك القادمة، بتفضيلٍ واضحٍ للعيان.

باستثناء تنظيم العبور لا يقوم عنصر التنظيم بأي إجراءات أخرى تجاه السيارات الذاهبة إلى الأراضي التي تسيطر عليها باقي القوى المقاتلة (الجيش الحرّ والفصائل الإسلامية)، حيث التوازنات القلقة والتوجس الحذر. تقطع السيارات مئات الأمتار لتصل إلى ساتر آخر ينتشر خلفه عناصر تبدو انتماءاتهم المتنوعة من ألبستهم التي تتدرج من بنطال الجينز إلى الباكستانية السوداء. أمام ساتر الجيش الحرّ (يعمّم الكثيرون هذه التسمية اختصاراً أو تحبباً) تتزاحم عشرات السيارات في محاولةٍ مستعصيةٍ لولوج الثغرة الثانية. ويصدر عن ذلك الزحام الكثير من الزعيق وغبار الأراضي الزراعية وطابورٍ مخترقٍ بثلاثة أو أربعة طوابير موازية، عدا الرجال الذين يحاولون استطلاع الأمر أو إصلاحه.

ينظر الكثير من السوريين إلى الطابور كأحد أهم مظاهر النظام والالتزام الحقيقي، ويمثل لهم مدى تحضر الشعوب، ويقبسون به التقدم على سلم الرقي، ويفكر قسمٌ منهم في وجوب تنظيمه بقبضته من حديد. وهو ما دفع بمنتظرين أمام ساتر الجيش الحرّ إلى تمجيد قسوة التنظيم وصرامته، ويبدو هؤلاء من الرماديين. مثلما يحلم الكثيرون بدكتاتورية عادلة، خاصةً ممن يصطدم بتلك المآزق أو يفكر في إشكالياتها. وما زالت عبارات كثيرة تدور في المجالس تعبر عن هذا المعنى، يتهم فيها متعصبون بعضهم، من الأرياف والمدن، بالتسبب في الفوضى، بدءاً بالطابور وانتهاءً بحال البلد، لكن مواقفهم وآراءهم سرعان ما تتغير متى مستهم نار الاستبداد. بينما يدعو البعض إلى الالتزام الذاتي، أسوةً بشعوب أخرى، ويعوّلون على الجانب الأخلاقي أو الديني، داعين إلى التسامح أو الإيثار أو المحبة. ويسوقون في هذا المجال القصص من اليابان خاصةً، أو المواعظ من



مقاتلين وناشطين في المناطق المحررة. يحاول خمسة مقاتلين من الجيش الحرّ، دون جدوى، إقناع سائقي السيارات بالانتظام في طابور. يأخذ أحد العناصر بإطلاق النار في الهواء فتبدأ حركةً كثيفةً تحاول تنظيم نفسها، لكن السيارات تعود إلى التجمّع بعد أن يتبين سائقوها أن «الضرب عرايسي». يلجأ العناصر إلى التهديد بكسر زجاج السيارات، ثم يبدأون بتنفيذ وعيدهم باستخدام الحجارة. بعد تحطيم زجاج أربع سيارات يعود النظام إلى الطابور، لكن مع الكثير من الضجيج. ثم يسمح العناصر بالعبور دون أي إجراءات أخرى.

بعد الدخول إلى مناطق سيطرة الجيش الحرّ يلتمس بعض العابرين العذر لمقاتليه، نظراً للضغط الذي يقعون تحت وطأته في مواجهة قوتين تتحيانان الفرصة للانقضاض عليهم. لكن يبقى من يحلم بدكتاتورية عادلة على حلمه، ومن يؤمن بالمحبة على إيمانه.

التاريخ. على أن القليل منهم يخوض غمار الحياة العامة والتأثير فيها أو في طوابيرها. ويشارك، مع هؤلاء وأولئك، المتكلمون الذين يصبّون سخريتهم على العرق أو الدين أو الهوية الوطنية. مع أن الجميع قد يساهم في تلك المآزق.

في ذلك الموقف المستعصي يتجاوز الجميع، ويحاول كل بطريقته أن يعبر الثغرة، واضعاً أفكاره عن الحضارة جانباً، مستلهماً ثقافة «الخيار والفقوس» أو «دبر حالك» أو «القوي ياكل لحم مستوي». ولكن، هل نحن أمام فشل أخلاقي كما يقول بشار الأسد، ويوافقه البغدادي، علاجه بفرض النظام بالإرهاب، وصناعة «دولة الإخوة» الموازية لدولة البعثيين، أم نحن أمام نتائج احتكارهما السلطة؟ سؤال ما زال غير مطروح على نطاق واسع، خاصةً أن الكثيرين لا يرون علاقةً بين الأمرين، في ظل قدرة الدكتاتوريات على فرض النظام في المدى القريب، وما يقاسيه الأهالي من التوازنات الحرجة بين القوى الفاعلة من

كان عونطجي وأصبح قاضي

■ محمد شامان

ومصدر أحكامها ومنفذها. أما ما تبقى من أعضاء الهيئة فكانوا مجرد أصنام متحركة بأمر أسياها أو، كما يقول المصطلح الدارج، «مُطَبَّرِينَهَا». صدر أبو الزبير نفسه كمكافح للفساد (كما أعلن بشار الأسد في بداية توليه الحكم)، فكثف من الاجتماعات مع المجلس المحلي والمنظمات الطبية والإغاثية. وطلب من المجلس المحلي تمويل الهيئة لتسيير رواتب موظفيها. وعندما رفض المجلس، لأن الهيئة لا تتبع للإدارة المحلية، طلب منه كشوفاته المالية، وأصبح يتدخل في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يمتلك أدوات للمحاسبة سوى التخوين غير المبني على أي دليل. وعند سؤال أحد أعضاء المجلس له عن مصير إيراتات النفط الذي تتحكم به النصره كان رده أنهم يرسلونها للمجاهدين في كل مكان، حتى لإخوانهم في مالي، ليقول له أحد المستمعين: «لعمرا! ول خلونا نتدفا بالأول بعدين ندي في غيرنا».

اختفت، أثناء توليه رئاسة الهيئة، أدوات منزلية مسروقة، يشك في قيامه ببيعها، خصوصا وأنه أصبح يمتلك المال، وأخذ يبحث في المدينة عن امرأة للزواج ثانية، بعد أن استولى على أحد المنازل القريبة من مكان عمله. وفي بادئ الأمر تقدم لخطبة فتاة صغيرة، ولم تستمر الخطبة أكثر من أسبوع، ليعود بعدها ويتزوج امرأة أخرى، تسكن الآن في قريته مع زوجته الأولى. باستمرار كان يأمر باعتقال الناشطين بتهم مختلفة، كالعلمانية أو مناصرة داعش. وقد تجتمعت التهمتان معا كما حدث مع بعض الناشطين الذي اختطفتهم الجبهة في ربيع العام السابق من منزلهم بحي الحميدية، دون أن تعترف الجهة الخاطفة بمسؤوليتها، واقتادتهم إلى خارج المدينة، لتضطر إلى إعادتهم بعد أسبوع تحت ضغط الأهالي والجيش الحر، وليستقبلهم هذا «الطنبر»، كما يصفه البعض، موجها إليهم تهمة العلمانية التي لا يعلم ما هي، حتى أنه لم يعرف الإجابة عن السؤال الذي طرحه أحد هؤلاء المعتقلين: «شكون تعرف عن العلمانية؟»، ليغير الموضوع ويتهممهم بالدعشة!

قبل سيطرة داعش على كامل ريف دير الزور، في النصف الثاني من العام الفائت، ظهر أبو الزبير في مقطع على موقع يوتيوب، مع بعض وجهاء قريته «سويدان جزيرة»، وهم يطلبون من داعش إرسال أحد شرعييها للاتفاق على تسليم المدينة، بعد أن هرب من مدينة دير الزور التي شغل منصب رئيس هيئتها الشرعية، وبعد أن توعد الدواعش ومناصريهم بالذبح، وأكد رفضه دخولهم المدينة إلا على جثته، ليرد أحد الأهالي معلقا: «والله يفكر حالو يوسف العظمة هالدثو».

أبو الزبير، أو «أبو الزبر» كما كان يدعو البعض، مولود عام 1985. خريج معهد رياضي، متزوج وله ثلاثة أطفال. أنهى خدمته الإلزامية في الشهر الرابع للثورة. ولم يكن يمتلك عملا. يعرفه المحيطون به بـ«العونطجي» وصاحب المشاكل، ما دفع بأحد أفراد أسرته إلى المساهمة في انتشاره من حالته العبثية، فأخذ يعلمه بعض الآيات والأحاديث وبعض أركان خطبة الجمعة، ليصبح فيما بعد خطيبا في جامع سويدان جزيرة، نسبة إلى القرية التي ينتمي إليها، وصار كأمثاله من الخطباء التقليديين الذين يحسبون أنفسهم أفهم المخلوقات، والأرض في نظرهم ما هي إلا تلك الأمتار القليلة التي يعيشون عليها.

وكان أول ما بدأ به على المنبر مهاجمة المتظاهرين في عموم المحافظة، ووصفهم بالمخربين والخارجين على الحاكم. وأيد القوة والقبضة الأمنية الحديدية، حتى استقبل دبابات النظام عند اقتحامها للمحافظة في صيف 2011، برفقة والدته التي رشت الرز على العسكر مهللة ومرحبة بالفاتحين. ثم ما لبث الجيش الحر، بعد سيطرته على كامل ريف المحافظة، أن كسب ولاء هذا الخطيب، فكانت لعائلة أبو الزبير حصّة من إيرادات آبار النفط في المنطقة، كغيرها من العوائل، بل إنه عمل محاسبا على أحد هذه الآبار. ليبيع بعدها جبهة النصره التي استقدمته إلى مدينة دير الزور بعد أن تمت تزيكته من الشيخ مظهر الويس، رئيس الهيئة الشرعية المركزية، ليكون ممثلها في هيئة المدينة، وقاضيها،



في تذكّر فؤاد أحمد... الشاعر والشاعر وابن البلد

عبد الله الخالد

في الساعة التي طافت فيها داعش بأعلامها السوداء مدينة دير الزور بعد أن سيطرت عليها، قبل أكثر من عام، لم يجد فؤاد أحمد ما يفعل سوى البكاء، ورتاء ثورة ووداع مدينة. ولكنه عثر، في لحظة الهزيمة الكبرى تلك، على طاقة للشعر ليقول لدير الزور: «تركنا فيك أجمل ما فينا».

الذي بذل كل ما يستطيع لمساعدة جرحى الحرب.

خلال سنوات الثورة التي استغرقت وعاشها بين الناس على الأرض وتحت القذائف، شكّل فؤاد نموذجاً خاصاً بين ثوار دير الزور. كان يستطيع أن يأخذ دور المنظر الذي يتكلم من بعيد، وكان يستطيع أن يناهض نفسه محافظاً على موقع لن يتأثر بهذا النأي بأنه «معارض»، لأنه ابن أسرة قتل حافظ الأسد أحد أبنائها في الثمانينات وسجن الآخر 15

سنة، لكنه لم

يفعل. بل

انطلق مع أول

المتظاهرين في

دمشق، حيث

كان يقيم قبل

الثورة، ليعتقل

هناك. ثم لينتقل

إلى دير الزور

عندما نزع عنها

معظم سكانها تحت

القصف، صيف العام

2012، تاركاً زوجته

وأطفاله الثلاثة الذين

لن يراهم بعد ذلك،

والذين لم يسلموا من

مضايقات مخبرات الأسد

أو من الحاجة في ظرف

رديء دون أي سند، ولا سيما

مع خصوصية وضع زوجته

المتحدرة من عائلة من محافظة السويداء

رفضت بالأصل ارتباط ابنتها بفؤاد لأسباب

طائفية.

غاب أبو غيفار، أو أبو أحمد كما

تعود ثوار دير الزور أن ينادوه، واختفت معه

آلاف صور وأسماء الجرحى والشهداء التي

تشكّل تاريخاً في حدّ ذاتها، واختفى معه ما

تبقى من تمثال الفراتي.

هكذا غاب... على طريقة

الأساطير التي تبشر بالقيام بعد غياب...

منها بعد إتمام دورة الاستتابة. وفعلاً، تمّ تحويله إلى الميادين حيث انقطعت أخباره من حينها.

يقول شقيقه: «لم يبق أميراً أو

قاضي أو والٍ في تنظيم الدولة إلا وقابلته،

من الرقعة إلى البوكمال، لكن أحداً لم

يعترف بوجوده ولا بتصفيته». ليبقى

مصيره معلقاً دون أن يفسر أحد

سبب تكتّم داعش

كنت إلى جانبه ونحن نتفرّج

على مواكب نصر داعش تجوب الشوارع.

وكانت الدموع، وهيئة الشاعر الذاهل

التي بدا عليها، وصمتنا أمام هتافات

«باقية»: تجعل المشهد باباً على الهاوية.

لم يصدّق فؤاد ما حدث يومذاك، بل لم

يشأ أن يصدّق أن تتبدّد كل

الأحلام دفعةً واحدة، وأن

تكون الأنفُس التي أزهقت

طلباً للحرية قد راحت

سدى. ورغم صدمته

وعجزه عن بعث أي

تفاؤل في نفوسنا، ورغم

استسلامه الظاهر

للنصائح الكثيرة

بأن «يطلع من البلد،

لأن هذول ولاد

كلب وغدارين»:

كان يماطل

في الخروج من

المدينة بأعدار

شتى. وكأنه

يخبّي يقيناً

سرياً بـ«يوم

خلاص

قريب»، حتى

جاء يوم آخر داهمت فيه داعش «دار

عائشة للتوليد»، حيث استأنف فؤاد نشاطه

في تسجيل المواليد الجدد - إلى جانب أنشطة

أخرى - لتلقي القبض عليه.

أسباب داعش لسجن هذا الشاعر

والمتقف العنيد كثيرة، يلخصها مؤيدو

التنظيم المتوحش بـ«العلمانية». وهي التهمة

الغيبية والجاهزة والمختصرة لكل من لا

يستطيع «الدواعش» تصنيفه في زمر

المتهمين الآخرين.

في محاولة تتبع أخباره كان

بعض الخارجين من سجن المحكمة في

مدينة دير الزور يقول إن فؤاد لا يزال هناك،

وإنه -حسبما سمعوا منه مباشرة- سيحوّل

إلى محكمة مدينة الميادين ليطلق سراحه



التي تتباهى بقطع

الرقاب وتعليق قوائم المحكومين

بالموت، أو إن كان على قيد الحياة فما الذي

يشكله من خطر لتستبقيه في سجونها؟!

لم تفلح محاولات الوساطة

والشفاعة لهذا الرجل المبتسم الذي نضب

في الحطام ليجمع أشلاء تمثال محمد

الفراتي، شاعر دير الزور، الذي فجرته

جبهة النصرة، أو الذي أنقذ ما استطاع من

كتب المركز الثقافى شبه المدمر بصواريخ

الأسد، أو المدوّن ليوميّات ناهبي مؤسسات

القطاع العام. ولم تنفع السيرة الحسنة لابن

الثورة الصامت والهادئ والكاره للشهرة،

رغم أن طريق خناصر يبعد

قرباً 100 كيلومتر عن مدينة حلب، إلا أنه يعدّ شريان الحياة الذي تدخل منه كافة المواد الغذائية والمحروقات القادمة من المحافظات السورية إلى أحيائها الواقعة تحت سيطرة النظام، أو ما يعرف بـ «الغربية». وتؤثر المعارك التي تدور هناك بين الفصائل المقاتلة وقوات النظام، التي تسيطر على الطريق، على الوضع المعيشي فيها.

وقد أكد القيادي أبو فؤاد موافقة الثوار على إعادة فتح المعبر، ولكن: «لدينا شروط لفتحه: أهمها تقديم ضمانات بعدم استهداف المارة برصاص قناصي النظام كما كان يحصل، إذ كانوا يستهدفون يومياً عشرات المدنيين أثناء عبورهم بين الطرفين». وتابع أبو فؤاد: «معظم ناشطي الأحياء المحررة، وحتى الثوار، لديهم أهالي وأقارب يقطنون في المناطق الغربية، ويرغبون في وجود معبر بين قسيمي المدينة لتسهيل زيارتهم لهم. لكن سلامة أهلنا وإخواننا الراغبين في التنقل بين الطرفين هي الأهم، ومن غير المعقول أن نسمح لهم بالعبور إلى الموت المجاني».

وأضاف أبو فؤاد: «سبق وأن بحثنا مع مندوبي منظمة الهلال الأحمر هذا الأمر، وأبلغناهم بموافقتنا على فتح معبر إنساني، لكن النظام مُصرّاً على رفض كافة الشروط. وقد لجأ مؤخراً إلى عقد اتفاق مع الميليشيات الكردية، وقاموا فعلاً بفتح معبر في حيّ الشيخ مقصود، لكننا رفضنا ذلك لأننا لا نعتبر الميليشيات الكردية منا. إنها فعلياً جزء من نظام الأسد».

تنظيم «الدولة» يحاصر أحياء حلب «الغربية» ومطالبات بفتح معبر إنساني مع «الشرقية»

عمرو غزال

في تصريح لـ «عين المدينة» قائلاً: «بدأنا، كناشطين، وحتى المدنيين الذين لا علاقة لهم بأحد الطرفين، بالشعور جدياً بأن أهلنا في المناطق المحررة يقفون ضدنا ولا يشعرون بنا، وكأننا نحن من نقلنا مساكننا وبيوتنا إلى مناطق سيطرة النظام». وأضاف الحلبي متسائلاً: «لماذا نُحمل تبعات ذنب لم نقترفه؟ ولماذا يظلمنا الثوار الذين عملنا معهم أيام الحراك السلمي؟ حين كنا نتنقل بين الأحياء للاشتراك في مظاهرة هنا أو القيام بنشاط ضد نظام الأسد هناك، دون السؤال عن خلفية سكان الحي الذي ننفذ فيه نشاطنا أو توجهاتهم السياسية».

وتابع: «منذ إغلاق معبر بستان القصر، الذي كان يصل شقي المدينة، لم نعد نستطيع التنقل بحرية بين الأحياء المحررة والمحتلة، خوفاً من المرور على حواجز الشبيحة والأجهزة الأمنية والجيش التي توجد بكثافة على طريق خناصر. ولكن يجب أن نقرّ أن من أغلق المعبر هم الثوار وليس النظام، وبالتالي هم من نفونا وهمشونا وحاصرونا بطريقته أو بأخرى».

الثوار مع المعبر لكن بشروط

وللوقوف على رأي أصحاب القرار في موضوع فتح المعبر زار مراسل «عين المدينة» في حلب أحد مقرات الجيش السوري الحر في حيّ «بستان القصر» الواقع على خط التماس بين شطري المدينة، والذي كان نقطة تواصل من خلال معبر «كراج الحجز» الذي تم إغلاقه أواخر عام 2013.

«الدولة» تقطع شريان الحياة

في 23 تشرين الأول المنصرم شنّ تنظيم الدولة هجوماً على حواجز قوات النظام على طريق خناصر، وتمكّن من السيطرة على العديد منها وقطع شريان الأحياء الغربية، ما تسبّب في موجة ارتفاع جنوني لأسعار المواد الغذائية والخضروات والمحروقات.

ووجه ناشطون معارضون يقيمون في هذه المناطق نداءات، عبر حساباتهم بأسماء مستعارة على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك، لفتح معبر إنساني بين شقي المدينة لتأمين دخول وخروج المرضى وإدخال المواد الغذائية والخضروات من المناطق الواقعة تحت سيطرة الجيش السوري الحر، إلا أن تلك النداءات لم تجد أذاناً صاغية، الأمر الذي تسبّب في ظهور حالة من الشعور بعدم الإحساس بالأخر بل والحقد عليه.

ويبقى السؤال الذي يؤرّق سكان «الغربية» هو متى ستتم إعادة فتح الطريق، سواء من خلال «الحسم العسكري» الذي يعد به إعلام النظام، أو بتحبيد المدنيين والسماح بإدخال المواد الغذائية والمحروقات على غرار ما يحصل في ريف حلب الشمالي، حيث يسمح الثوار بإدخال المواد الغذائية إلى مناطق سيطرة التنظيم، الذي يسمح بدوره بإدخال المحروقات من مناطقه إلى مناطق الثوار.

شكاوى من ثوار «الغربية»

وعلق أحد الناشطين المعارضين، عمار الحلبي، على الموضوع، الذي اختار لقب



صورة أرشيفية لمعبر كراج الحجز - خاص

«شرعيون» يعلنون تشكيل «دار الحسبة» في حلب وكبرى الفصائل تنفي علاقتها بها

أحمد أبو زيد

في وقت تخوض فيه فصائل الجيش السوري الحرّ في حلب معارك طاحنةً جنوباً ضدّ قوّات النظام والمليشيات الطائفية المدعومة بغطاء جوي كثيف من سلاح الجوّ الروسي، أعلنت مجموعة من «الشرعيين» عن تشكيل «دار الحسبة»، مدعيةً أنها تضمّ مجموعة من الفصائل العسكرية العاملة في المدينة.

على الباقين في حلب وتهديدهم بقوة السلاح بحجّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وقتٍ يحاول فيه جيش النظام التقدّم في ريف المدينة الجنوبيّ. ورأى الناشط الإعلاميّ مجاهد أبو الجود، في تصريح له «عين المدينة»، أنّ تشكيل هكذا دار في هدأ الوقت هو انفصال كليّ عن الواقع، معتبراً أنه كان الأجدر بالقائمين على تشكيل «الحسبة» التوجّه بالسلاح الذي يرهبون به باعثة الدخان نحو جبهات القتال ضد النظام والمليشيات التي تسانده.

ولم يمض أكثر من 48 ساعةً على إعلان تشكيل «دار الحسبة» حتى تلقى المعجبون بصفحتها الرسمية التي تمّ إنشاؤها على موقع التواصل الاجتماعيّ فيسبوك إشعاراً يفيد بأن اسم الصفحة تغيّر من «دار الحسبة في حلب» إلى «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وهي هيئة دعوية تمّ إحداثها قبل حوالي ستة أشهر من قبل مجموعة من الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم شرعيين في المدينة، ويرئسها شخص يلقب بـ«حج رسول»، وهو لا يملك أيّ تحصيل علميّ يخوّله العمل في المجال الدعويّ أو الشرعيّ، حسب مقربين.

في البيان كان مشاركة أحد الشرعيين التابعين له بمبادرة فريدة. وتوعد اللواء، في بيان النفي الذي حصلت «عين المدينة» على نسخة منه، بفصل الشرعيّ من اللواء بسبب تصرفه غير المسؤول، وعدم العودة لقيادة اللواء قبل أخذ القرار. وأصدرت حركة نور الدين الزنكي هي الأخرى بياناً نفت فيه علاقتها بـ«دار الحسبة» من حيث التشكيل أو التنسيق، مشيرةً إلى أنها فوجئت بزج اسمها خلال التسجيل المصوّر.

ولكن، لم تمض ساعات قليلةً على إعلان تشكيل «دار الحسبة» حتى فوجئ سكان حيّ «بستان القصر» داخل مدينة حلب بدخول رتل عسكريّ يضمّ عدّة سيارات، بعضها مزوّدة بمدافع رشاشة من عيار 14.5، على متنها مسلحون يرتدون لباساً موحداً ويرفون لافتات كتب عليها «دار الحسبة»، قاموا بالتوجّه إلى محلات بيع الدخان والنرجيلة في الحيّ وطالبوا أصحابها بتصفية بضائعهم وإغلاق المحلات بأسرع وقت.

واستهجن ناشطون من المدينة، عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ تويتر وفيسبوك، تشكيل الحسبة بهدف التضيق

وذكر المتحدث، خلال البيان الذي نُشر عبر موقع يوتيوب يوم السبت 24-10-2015، أنّ الهدف من تشكيل «دار الحسبة» هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مؤكداً مشاركة عدّة فصائل في تشكيلها، من بينها حركة أحرار الشام الإسلامية وحركة نور الدين الزنكي ولواء السلطان مراد، وفصائل أخرى لم يذكر أسماءها بناءً على رغبتها، حسب تعبيره. في حين نفى مسؤول العلاقات العامة في حلب لحركة أحرار الشام، ياسر الطائي، في تصريح خاصّ له «عين المدينة» مسؤولية الحركة عن دار الحسبة، مؤكداً أنّ تشكيلها كان بمبادرة فردية من بعض الشرعيين التابعين لفصائل عديدة. وأضاف الطائي: «نحن على علم بأن هناك نيّة لإنشاء هكذا جهاز، ولكن ليس بالطريقة التي أعلن عنه، كان المشروع مطروحاً من قبل شرعيين بهدف دعوة الناس بالحسنى والموعظة، ولكننا كحركة أحرار الشام لم ندخل رسمياً بالحسبة».

وبعد ساعات قليلة من إعلان «دار الحسبة»، أصدر لواء السلطان مراد، التابع للجيش السوري الحرّ، بياناً نفى فيه علاقه بالدار، مشيراً إلى أنّ سبب ورود اسم اللواء





ما هو الوضع القانوني للاجئين السوريين في تركيا؟

نشرت الحكومة التركية، في 22\10\2014، تعليمات تنفيذية حول الحماية المؤقتة وفقاً للمادة 91 من قانون الأجانب والحماية الدولية. وتفيد المادة الأولى من هذه التعليمات أن تطبيقها يشمل، إضافة إلى السوريين، الأشخاص الذين لا وطن لهم واللاجئين ممن فروا من سوريا. وهذا يعني ضمناً الكرد المحرومين من الجنسية، واللاجئين الفلسطينيين، وغيرهم ممن لا يحملون أي جنسية (الفجر مثلاً).

وزارتي «العمل والأمن الاجتماعي» و«الأسرة والشؤون الاجتماعية».

هل يضمن نظام الحماية المؤقتة حرية وصول السوريين إلى تركيا؟

يخضع وصول السوريين إلى تركيا لتقديرات السلطات التركية من حيث قدرة المخيمات القائمة على استيعاب موجات جديدة من الهاربين، والصعوبات التي تواجهها في توسيع تلك المخيمات، وغيرها من الاعتبارات. بالنسبة إلى حاملي جوازات السفر السورية، لا مشكلة في وصولهم إلى الأراضي التركية عبر النقاط الحدودية المفتوحة، ولا يحتاج ذلك إلى تأشيرة دخول (فيزا). أما من لا يملكون جوازات سفر، فالسماح بدخولهم خاضع لضبط الأجهزة الأمنية المسؤولة عن نقاط العبور، الجيش والجنדרمة، وهو يقتصر عملياً على الحالات الإسعافية. وهناك عمليات تسلل غير قانونية بمساعدة مهربيين. وعلى أولئك الداخلين بوسائل غير شرعية مراجعة السلطات لتسجيل معلوماتهم الشخصية، أي تقديم طلب للحصول على «كملك». ولن يخضعوا لدفع رسوم

يتعلق نظام الحماية المؤقتة بالأجانب الذين اضطروا إلى مغادرة بلدانهم، ولا يمكنهم العودة إليها، ولأدوا بالحدود التركية بهدف الحصول على حماية عاجلة ومؤقتة، بشكل جماعي أو بصورة فردية في الفترة نفسها التي جرى فيها الهروب الجماعي، أو عبروا الحدود التركية ولم يتم قبول طلبات لجوئهم الدولية. وفقاً لهذا النظام الذي وضعته الحكومة التركية موضع التطبيق، يتم قبول السوريين الذين يطالبون بالحماية الدولية، واللاجئين والمحرومين من الجنسية القادمين من سوريا، ولن تتم إعادتهم إليها ما لم يطلبوا ذلك. ويطبق هذا النظام على جميع الفئات المذكورة بصرف النظر عن امتلاكهم وثائق شخصية (هويات أو جوازات سفر) أو عدم امتلاكهم لها.

تتضمن التعليمات التنفيذية المذكورة الحقوق التي يتمتع بها السوريون داخل المخيمات أو خارجها. وهي، في خطوطها العريضة: الحصول على الخدمات الصحية والتعليم والمساعدات الاجتماعية والعمل. وبالنسبة إلى عنواني «المساعدات الاجتماعية والعمل» سيتوسع تطبيقها في المستقبل بقرارات تفصيلية من

منها. لذلك يُنصح، في هذه الحالات، بتسجيل التلاميذ في المدارس التركية، الكمكك وثيقةً ضروريةً للتسجيل في المدارس التركية أو مراكز التعليم المؤقتة.

هل يمكن للطلاب السوريين أن يسجلوا في الجامعات التركية؟

يمكن للطلاب السوريين أن يتقدموا بطلب التسجيل في الجامعات التركية بشرط تعلمهم اللغة التركية ووجود الوثائق الأكاديمية المطلوبة. في العام الدراسي 2014\2015 أعضت الحكومة الطلاب السوريين من رسوم التسجيل في جامعات الدولة. تنظم كل جامعة اختباراً لطالبي الانتساب يسمّى «امتحان الطلاب الأجانب». على الطالب السوري إبراز وثيقة النجاح في هذا الاختبار ليتم قبوله في الجامعة. يمكن للجامعة أن تتقاضى رسوماً عن هذا الاختبار.

على الطلاب الراغبين في الحصول على منح دراسية مراجعة الموقع الإلكتروني www.turkiyeburslari.gov.tr. علماً أن هذه المنح محدودة وتنافسية وتخضع للمفاضلة، ومراجعة الموقع لا تضمن الحصول عليها. لمزيد من المعلومات حول تاريخ انتهاء تقديم طلبات المنح يُراجع الموقع الإلكتروني: www.unhcr.org.tr يمكن للاجئين السوريين التسجيل في دورات اللغة التركية ودورات التدريب المهني التي تقدمها «مراكز التعليم الشعبي» مجاناً. الوثيقة المطلوبة هي «الكمكك».

حول حزية حركة اللاجئين داخل تركيا

يقدم مدير المخيمات أذونات خروج نهائيةً بفاصل منتظمة. لا يحتاج اللاجئون المقيمون خارج المخيمات (حتى الآن) إلى أذونات سفر للتنقل بين مختلف المحافظات التركية. لكن الانتقال للإقامة الدائمة في محافظةٍ أخرى يحتاج إلى إبلاغ السلطات بذلك.

ما هي المساعدات المتوافرة للأطفال السوريين المحرومين من رفقة أهاليهم؟

يعد «قانون حماية الأطفال» (رقم 5395) الإطار التشريعي لحماية جميع الأطفال في تركيا، بصرف النظر عن جنسياتهم. أثر ارتفاع عدد اللاجئين السوريين في تركيا، ويؤثر، في قدرة مؤسسات الدولة التركية على مواصلة تلبية احتياجات هؤلاء الأطفال. لذلك تبحث وزارة الأسرة والشؤون الاجتماعية التركية عن خيارات بديلة لتلبية هذه الاحتياجات المتزايدة في الإطار التشريعي المذكور. يتم إيواء الأطفال المحرومين من مرافقة أهاليهم بالتعاون مع وزارة الأسرة والشؤون الاجتماعية. ويمكن إيواؤهم في المخيمات، بصورة منفصلة، إذا تم توفير الشروط المناسبة لهم، بالتعاون مع (أفاد). في كل الإجراءات المتعلقة بهؤلاء الأطفال تتم مراعاة مصلحة الطفل قبل أي اعتبار آخر. يستفيد هؤلاء الأطفال، بصورة أساسية، من الخدمات الطبية والتعليمية، في إطار التشريعات السارية.

أي جهة يراجع اللاجئ السوري الذي يقع ضحية جريمة على الأراضي التركية؟

يستفيد كل اللاجئين السوريين من حماية حكومة الدولة التركية، في إطار نظام الحماية المؤقتة. هذا يعني حقهم في تقديم الشكاوى إلى جميع السلطات التركية وطلب المساعدة منها، بما في ذلك جهاز الشرطة، بسبب أي جريمة يقعون ضحيتها. عدم الحصول على كمكك لا يمنع هذا الحق، ولكن يبقى أن الكمكك هو الطريق الوحيد لتلقي كل أشكال المساعدة.

جزائية. والجهة المسؤولة عن هذا الإجراء هي «المديرية العامة لإدارة الهجرة، التي تأسست في نيسان 2014، وتتبع وزارة الداخلية. لا يمكن للدولة التركية إرغام أي لاجئ سوري على العودة إلى سوريا. لكن عدم تسجيله لدى إدارة الهجرة قد يمنع أو يصعب حصوله على المساعدات والخدمات المقدمة وفقاً لنظام الحماية المؤقتة. ويشكل التسجيل لدى السلطات (الكمكك) ضماناً قانونياً لحصول اللاجئ على الخدمات العامة، بما في ذلك الصحة والتعليم.

التسجيل والإقامة في المخيمات

تقع مسؤولية إدارة المخيمات على إدارة الكوارث والطوارئ (أفاد)، في حين تمسك وزارة الداخلية بشؤون تسجيل قيود المقيمين في تلك المخيمات. ويحصل هؤلاء على بطاقة الكمكك من «شعبة الأجانب» التابعة للأمن.

يتجاوز الطلب على الإقامة في المخيمات قدرتها الاستيعابية. لذلك ترك هذا الأمر لتقدير السلطات التركية. وتعطى الأولوية لذوي الاحتياجات الخاصة.

يمكن للسوريين مراجعة مراكز أفاد ومراكز المحافظات (الولايات) للاستفسار عن إمكانية الإقامة والتسجيل في المخيمات.

كيف يتم تسجيل المواليد الجدد؟

على الأجنبي (السوري) أن يسجل واقعة الولادة في دائرة النفوس التركية في مكان إقامته في غضون ثلاثين يوماً من تاريخ الولادة. يمكن لأحد والدي الطفل، أو الوصي القانوني عليه، أن يقوم بذلك. وإذا لم يكن أبوا الطفل أو الوصي عليه موجودين يمكن أن يقوم بتسجيل المولود أحد أقاربه، كالجد والجدة أو الأخوة والأخوات البالغين، أو أي شخص يرافق المولود. ولا يخضع تسجيل قيد المولود لأي رسم مالي. لا تعطى وثيقة الولادة حق الجنسية التركية للمواليد من أبوين أجنبيين على الأراضي التركية.

هل يحق للتلاميذ السوريين الالتحاق بالمدارس التركية، وكيف؟

يمنح القانون الوطني التركي جميع الأطفال، بمن فيهم الأجانب، الحق في التعليم المجاني في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. أصدرت وزارة التعليم، في أيلول 2014، تعميماً بخصوص استفادة الأجانب من التعليم، تضمن حق المستفيدين من نظام الحماية المؤقتة بالحصول على خدمات التعليم في مدارس ومراكز تعليم مؤقتة تحت إشراف مديرية التعليم في كل محافظة. على الطلاب الأجانب الراغبين في التسجيل في المدارس التركية مراجعة مديرية التربية في المحافظة التي يقيمون فيها. يعتمد تحديد الصف الذي سيسجلون فيه على وثيقة تحدد المستوى الذي بلغه الطالب في بلده الأصلي، وفي حال غيابها يتم التقدير بناءً على مقابلة شخصية أو اختبار كتابي وجيز.

مراكز التعليم المؤقتة هي مدارس وفرتها الدولة للاجئين السوريين، ويُدرس فيها منهاج سوري معدّل، باللغة العربية. في نهاية المرحلة الدراسية يحصل الطالب على وثيقة تثبت دوامه في المدرسة وإتمامه المرحلة الدراسية بنجاح مع سجل بعلاماته. يتم التسجيل في المخيمات في مدارسها مباشرة. أما في المناطق الأخرى فيتم التسجيل في مديرية التربية. يجب الانتباه إلى أن مراكز التعليم المؤقتة قد لا تكون متوافرة في جميع المحافظات، إضافةً إلى القدرة الاستيعابية المحدودة للموجود

ديرّيات في أورفا

سميرة بدران

دعت إدارة المدرسة السورية للاجئين أولياء أمور الطلاب المتغيّبين، فحضرت أمهات بعضهم والتقين بالمرشدة النفسية في غرفة المعلمات.

قاطعتها سناء، معلّمة الرسم: «صار لي سنة هون، تعلمت التركي وأدرّس بمعهد. حمايتي تعمل المونة وتبيعها وعاشين مرتاحين، ونوفر زيدين. عيش تانقعد وندب حظنا! صح بلدنا مو لنا أسع، بس راح يرجع ونرجع على بيوتنا ولو كانت خراب». رغم التفاوض والثقة في لغة معلّمة الرسم إلا أن الحزن والصمت خيما للحظات في جو المعلمات، إذ فكرت كل منهن في مستقبلها انطلاقاً من هواجس الفاقة والتشرّد والضياع. قبل أن تذكرهنّ سعاد بأم عبد الله «الخراجة... اللي بشارع ستّة إلا ربع أولي؟» عدها كومة لحم... ما عدها معيل إلا الله، ومع هاد كل شي يزود عندها آخر كل شهر تعطّينياه. عدها كومة بطاقات: شي الدانماركية وشي للعطاء وشي للهلّال. وممشية حالها ما شاء الله.

يرنّ جرس المدرسة معلناً انتهاء اجتماع المعلمات مع أمهات الطلاب المتسيّبين في مدرسة «الضيوف السوريين».



لم تكن الغرفة سوى كرفانة توسّطت مجموعة من شببهااتها في ساحة كبيرة لمبنى واسع وهبته جهة ما للاجئين السوريين لغرض إنشاء مدرسة تدعمها منظمات مانحة. ورغم ضيق المساحة وتراصّ الصناديق، التي ضمت الكثير من القرطاسية والكتب المدرسية، في أرجاء الغرفة؛ نجحت إلهام، المرشدة النفسية، في ترتيبها لتستقبل أكبر عدد من الضيوف، ولتبدو مكتباً مدرسياً بالفعل.

«ليش يغيبون ولدكم؟» تخاطب إلهام سيدتين من أولياء الأمور الذين كانوا جميعاً من النساء، جنن متفرّقات وغير مباليات كثيراً بتسيّب الأولاد في أرض النزوح التي تعدّ المدرسة فيها أمراً ثانوياً لبعض النازحين، رغم أنها، في الآن نفسه، سبب نزوح كثير منهم من المناطق التي تسيطر عليها داعش في دير الزور والرقة وغيرها. تذكر المرشدة النفسية السيدتين بهذا: «واللي طالعنا من الدير مو دراستهم؟! كان ممكن نتحمّل كل شي إلا أنهم يظلمون بلا مدارس. الفرصة أسع قدامهم، لا تضيعونها حرام». لم يبد على أم أحمد وأم سعيد ما يكفي من التجاوب مع تشجيع المرشدة؛ فلدى الأولى همّ أكبر من المدرسة، فقد اعتقل النظام زوجها وهربت بالأولاد وأنفقت كلّ ما أذخرته، أو ما كانت تسمّيه «الخميرة ليلات الزمان»، خلال ثلاثة أشهر، ليضطرّ بعدها الأولاد، بمن فيهم المتسيّب من المدرسة، إلى العمل بـ«يوميات» تكفي لتحصيل الحد الأدنى. وكان تبرير الثانية، أم سعيد، منطقياً أيضاً؛ إذ إن العائلة عازمت مؤخراً على الهجرة بعد سلسلة آلام كان أبرزها اعتقال الأب في سجن تدمر، وتعرّضه للتعذيب هناك حتى كاد أن يموت «لو ما حرّرتّه داعش»، وما زال يخضع للعلاج حتى الآن. «بلكي الله يفرجها علينا بألمانيا».

ولكن مدرّسة اللغة الإنكليزية، والتي انضمّت خلال الفرصة إلى الجلسة، موقفاً الخاص من هجرة السوريين إلى أوربا؛ فالهجرة «كذبة»، وإحنا بحيل مصدقينها. شبابنا راحوا، كلهم هاجروا، ما ظل أحد هون؛ أخواتي وولاد خوالي وولاد عمامي، ظلمنا بس النسوان. ألمانيا راح تسع السوريين كلهم؟ وشكون الثمن؟... «صرنا عايشين بالمراسلة، علاقاتنا بالمراسلة، تعازينا ومباركاتنا ومعاهداتنا عالنت، إي حتى جيزاتنا عالنت». تؤيّد معلّمة الرياضيات الموقف الراض للهجرة، وتروي، خلال ذلك، ما استطاعت من قصتها منذ انشقاق زوجها الضابط، ثم هربهم من دير الزور صفر اليدين خوفاً من داعش. وتنجح سامية، معلّمة الصف الثاني، في رواية قدر أكبر من قصتها؛ بيع سيارتهم، وهي كل ما يمتلكوه، بمليون ليرة اعتقدوا أنها مبلغ كبير «سيسترهم في تركيا»، قبل أن يتبخّر خلال شهرين، لتدور اليوم «من جمعية لجمعية ومن منظمة لمنظمة أشحد عالكيملك».

نحو مجلس محافظة لدير الزور

عُقدت في مدينة غازي عنتاب، خلال الشهر الفائت، اجتماعات عدّة ضمّت ناشطين وشخصيات من محافظة دير الزور، بهدف الوصول إلى صيغة عمل جامع تأخذ شكل هيئة تعنى بالشؤون الإنسانية والاجتماعية والصحية للنازحين من أبناء دير الزور في تركيا.

ودفعت آراء بعض المشاركين، من أعضاء المجالس المحلية السابقين، باتجاه تطوير الفكرة نحو تأسيس مجلس للمحافظة، يضمّ التجمعات والكيانات القائمة وذات الصلة دون أن يلغيها. على أن تعترف هذه الكيانات بالمجلس المفترض كجسم أعلى يمثل المحافظة وتكون له صفةً اعتباريةً وقانونيةً تتيح له المشاركة في التحضير لمرحلة ما بعد داعش، بإعداد خططٍ لتشغيل المرافق العامة والمنشآت الحيوية في قطاعات الصحة والخدمات والتعليم.

وشدّد المجتمعون على ضرورة التعاون والتنسيق بين التجمعات القائمة وإلغاء حالة التشردم والتنافس بينها، مع إتاحة الفرصة للجميع للمشاركة. وتأتي اجتماعات عنتاب في ظلّ

افتقار دير الزور إلى مجلس محافظة أو هيئةٍ عليها تقوم بأدواره المتاحة وتمثل الجهة الرسمية أمام مؤسسات المعارضة. وقد فشلت فيما مضى عدّة محاولات لتشكيل مجلس للمحافظة في مدينة أورفا، وذلك بسبب عدم التوافق بين التجمعات والأطراف والأفراد المنخرطين في هذه المحاولات، وإقصاء العديد من الناشطين، إضافةً إلى عدم تعاون وزارة الإدارة المحلية مع المجالس المحلية السابقة، وتصدّر شخصياتٍ خلافيةٍ ذات سجل سيئ في العمل العام بعض هذه المحاولات.

يقول مثني العمر، وهو رئيس سابق لمجلس مدينة دير الزور: «يجب أن نتخلص من حالة الفرقة والتخبّط، وفي حال نجاحنا، نحن أبناء المحافظة، في بناء هيئةٍ حقيقيةٍ فإنها ستنال اعتراف الناس واعتراف المؤسسات الأخرى سورية كانت أم دولية».

وتعهد كل أعضاء المجالس المحلية السابقين بعدم الترشح لأي منصب في قيادة هذا المجلس حال تشكله، وببذل كل ما يستطيعون لإنجاح مهمته.

السكن العينتابي

معاذ الطلب

بعد هروبه من داعش قصد خالد مدينة غازي عنتاب التركية، ليبدأ رحلة البحث عن عمل. هو مدرّسٌ للغّة الإنكليزية، التي من المفترض أنها المؤهل المطلوب لدخول مجال العمل مع المنظمات الدولية المعنية بالشأن السوري، والتي جعلت من عنتاب مركزاً رئيسياً لها.



ريثما يجد العمل المنشود اضطرّ خالد إلى الإقامة في سكن شبابي، أو كما دعاه بـ«النزل». وهو بيتٌ قديمٌ جداً ضمن السوق الشعبي «الجارشي». يتألف من ستة غرفٍ يتوسّطها فناءٌ كبيرٌ (الحوش). أرضيته غير مبلطة، ويعاني من الرطوبة في جميع أجزائه. شديد الحرارة في الصيف، شديد البرودة في الشتاء، واستخدام الكهرباء للتدفئة أمرٌ غير مسموح به. يقسم في الغرفة سبعة أشخاص، ولكل منهم فرشته فقط، يستأجرها بـ125 ليرة تركية شهرياً، أو 10 ليرات يومياً. يستخدمون حماماً واحداً ومطبخاً واحداً. وهذا ما ينطبق على جميع هذه «البيوت الشبابية» تقريباً. يقول محمد من ريف حلب: «أشتغل بورشة خياطة بمعدل 13 ساعة يومياً، وراتبي 900 ليرة بالشهر. وأنا مجبور أقعد بهالسكن السيئ لأنو الإيجارات غالية بعنتاب، وعم بيعت لأهلي بإعزاز مصروفهن الشهري».

ويبقى الواقع بالنسبة إلى الشباب أفضل حالاً منه بالنسبة إلى العوائل الفقيرة التي تهرب من أهوال الحرب المستمرة والمستعرة، فيقصد أغلبها ريف عنتاب أو أحياءها الشعبية الطرفية كالجهوريات والفتاح، ذات الأسعار المنخفضة نسبياً. ويحاول جميع أفراد الأسرة العمل لمواجهة المصاريف المرتفعة، وعليهم يدخرون مبلغاً يحسّنون به أحوالهم السكنية.

يدير المحامي رامي العساف دار إيواء الحمزة الخيرية، المخصصة للعوائل القادمة التي تحتاج إلى الإقامة لبضعة أيام قبل أن تجد مستقراً لها. وهذه الدار بناء مؤلف من ثلاثة طوابق، يحوي كل منها ثلاث غرف، وتخصّص لكل عائلة غرفة واحدة فقط، ويشترك النزلاء بالحمام والمطبخ. يقول المحامي العساف: «نستقبل العوائل القادمة حديثاً من سوريا لمدة أقصاها 15 يوماً، لإعطائهم فرصة كي يجدوا عملاً ومنزلاً مناسباً. ونبحث الآن عن بناء يحوي غرفاً أكثر، نتيجة توافد العوائل بأعداد كبيرة».

ويقسم قسم كبير من السوريين في عنتاب في شقق سكنية صغيرة من نظام «الاستوديو». وجل هؤلاء من الموظفين في مؤسسات المعارضة والمنظمات الدولية وأصحاب الأعمال الحرّة. وتعد أجور السكن في عنتاب الأعلى من بين الولايات التركية حالياً.

مدارس إدلب:

من ضحكات الأطفال.. تشرق شمس الغد

■ أماني العلي

في أحدث تقاريرها ذكرت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) أن أكثر من نصف اللاجئين السوريين في دول الجوار هم من الأطفال. وقال التقرير إن «الصراع المستمر منذ خمس سنوات تسبب في تدمير حياة ملايين الأطفال والأسر، وأجبر الملايين على الفرار من ديارهم، في بلد أصبح الآن خراباً ويعيش فيه حوالي نصف مليون مواطن تحت الحصار، ويحتاج فيه 7.6 مليون طفل إلى المساعدة».

بين طفولة الصغار وقتال الكبار نشأ جيل عاش الحرب بكل لحظاتها، من قصف وحصار ونزوح، فانعكس كل هذا عليهم، ليترجم في سلوكيات وردود أفعال. «الطميمة» وكرة القدم المصنوعة من القماش ألعاب كانت منتشرة بين الأطفال في

جميع المحافظات السورية، لتأتي الحرب وتغير شكل الألعاب ومضمونها. ففي المناطق المحررة يصنع الأطفال ألعابهم من الخشب على أشكال أنواع مختلفة من الأسلحة التي تستخدم في البلاد، كالبارودة الروسية والمسدسات، بالإضافة إلى «النفيسة»، وهي أنبوب مياه يوضع في نهايته بالون، ليدفع الحجر بقوة خارج الأسطوانة ويصيب الشخص المقابل لها. تقول سماح: «يميل ابني محمد (4 سنوات) في اختيار ألعابه إلى الأسلحة البلاستيكية دائماً، ومع عدم موافقتي على شرائها له إلا أنه يصبر على اقتنائها». وتضيف: «أثناء لعبه مع إخوته أو أبيه يستخدم كلمات مثل «شبيح» و«مهندس» وكثير من الألفاظ التي يتعلمها من رفاقه أو من التلفاز، وباءت كل محاولاتي لإبعاده عن تأثيرات الحرب بالفشل».

وتدل ردود أفعال الأطفال على حالتهم النفسية، فحسب تقديرات منظمة اليونيسيف هناك حوالي 2 مليون طفل سوري يحتاج إلى الدعم النفسي والعلاج السلوكي بعيداً عن الأدوية، ودروس رسم لتفريغ ما يجول في دواخلهم. تقول أم فادي من إدلب ضاحكة: بعد تحرير المدينة دخل إلى منزلنا جهاز لاسلكي (القبضة) لرصد مكان الطائرة وأخذ الحذر بالاختباء في الطوابق السفلية. وفي أحد الأيام كان فادي نائماً فاستيقظ وهو يردد: «الحربي نفذ يا



كانت

مديريّة التربية

تغطي 132 مدرسة، ووصل العدد اليوم إلى 250 مدرسة». وأضاف أن هناك تعاوناً بين مديرية التربية التابعة للنظام لتغطية الشواغر في جميع المحافظة، مؤكداً أنه علينا جميعاً أن نتعاون للنهوض بالتعليم. وذكر أن الحكومة السورية المؤقتة وعدت بتغطية جميع احتياجات المحافظة من الكتب المدرسية، إلا أنها لم ترسل مديرية إدلب شيئاً حتى الآن، علماً أن المديرية مستقلة وغير تابعة لأي جهة.

تقول رانيا، وهي مديرة إحدى المدارس الخاصة في المحافظة: «من المصاعب التي تواجهنا مع عودة الطلاب إلى مقاعد الدراسة زيادة نسبة العنف والمشاجرات مع رفاقهم لأسباب بسيطة. بالإضافة إلى حالات الخوف من أي صوت يصدر في الخارج، والبكاء المفاجئ، والرغبة في العودة إلى المنزل». وأضافت: «أغلب أحاديثهم تدور حول القصف والمعارك».

ومع جميع المخاطر النفسية والتعليمية التي تحيط بالأطفال، إلا أن صوت ضحكاتهم يبقى هو المسيطر الوحيد على نفوس الأهالي الأملين بغد مشرق لا مكان فيه للقصف ولا للطائرات.

شباب

انتبهوا... الحربي

نفذ يا شباب انتبهوا»، وهي كلمات يسمعونها يومياً من القبضة.

عودة الأطفال إلى مقاعد الدراسة هي إحدى طرق العلاج، لإشغالهم عن نار الحرب بالتعليم والمطالعة والرسم والغناء. ولكن حوالي المليون طفل غير قادرين على العودة إلى المدارس، و400 ألف آخرين يواجهون خطر الخروج منها، حسب تقرير اليونيسيف الذي تحدث عن المدارس المدمرة أو تلك التي تستخدم كملاجئ. وقد تصدرت محافظة إدلب المركز الأول بأكثر من نصف مدارسها، لتأتي بعدها حلب.

وبعد تحرير مدينة إدلب، في 28 من آذار الماضي، أغلقت جميع مدارسها بسبب هجرة عدد كبير من الأهالي من المدينة خوفاً من القصف الجوي. فابتعد الأطفال عن منازلهم ومدارسهم، ليعودوا بعد انقطاع ستة شهور. إذ قامت مديرية تربية إدلب المحررة بإجراء مسابقة للمعلمين لجميع الاختصاصات، في 5 أيلول الماضي، لسد الشواغر في المحافظة وريفها. وفي مقابلة مع مدير التربية قال الأستاذ جمال شحود: «لدينا منحة مالية لتوظيف 2658 معلماً ومعلمة، وزيادة نسبة المدارس في قرى لم يتم افتتاح مدارس فيها من قبل. إذ

القاتل الضرورة

انتقالية». فأخذ قادة تلك الدول ووزراء خارجيتها يتسابقون في تصريحاتهم بصدد القبول ببقاء رأس النظام لفترة انتقالية يعرفون أنها لن تبدأ قريباً. بل وصل الأمر بالمستشارة الألمانية حدّ الكلام عن ضرورة الاتفاق مع الأسد لمحاربة داعش. هذا إذا كان هناك أي معنى للفصل بين النظام ورأسه. فالسوريون يعرفون جيداً، من خبرتهم الممتدة لنصف قرن، أن النظام هو الأسد والأسد هو النظام، وهذا ما جعل النظام متمسكاً طوال خمس سنوات، وفشلت كل المحاولات المفترضة لاستبدال رأسه بانقلاب داخلي، اغتيال خلية الأزمات على سبيل المثال، وما يدور من تكهنات حول اختفاء علي حبيب.

لا أعرف من الذي يقف وراء ابتكار صفة «القائد الضرورة» للمقبور حافظ الأسد. قد يكون شخصاً أو حزباً ممن يؤمنون بنظرية «الحتمية التاريخية». يعني «القائد الضرورة» وفقاً لهذه الفلسفة الحتمية أن هناك أدواراً «ضرورية» في التاريخ لا بد أن يملأها شخص ما. وهكذا كان على سوريا ذات التاريخ الحديث نسبياً أن تنتظر هذا «القائد المقدم» ليحتل مكانه في التاريخ ويقوم بتنفيذ ضروراته الحتمية، فيبني «سورية الحديثة» من لا شيء! سورية التي سيحوّلها من جمهورية إلى مملكة سلالية تختزل البلد في شخص وتفرغه من أي داخل مجتمعي.

أما بعد اندلاع ثورة الشعب السوري والمهارات الباهرة التي أظهرها النظام برأسه المعتوه في ارتكاب فظاعات غير مسبوقه، فقد وجد فيه الغرب أيضاً القاتل الضرورة الذي لا يمكن استبداله بغيره. فهو يقوم بمهام قدرة، نيابة عن حكومات الغرب وتيارات يمينية عنصرية وأخرى يسارية فيه، لا قبل للرأي العام الغربي بتحملها. تلك الحكومات والتيارات التي لا ترى في مجتمعاتنا «المتخلفة» إلا فائضاً سكانياً لا أهمية له أو خطراً إرهابياً يتهدّد نمط حياتها ورفاهها الاجتماعي ويقلق راحتها.

ليس هذا غريباً على ذلك «الغرب» الذي لا يخجل واحد كزبغنيو بريجنسكي (مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق) من استعراض فلسفته المالتوسية الجديدة حين يتحدث، في أحد كتبه، عن أن عشرين في المئة فقط من سكان الأرض يستحقون الحياة.

أين سيجد هذا الغرب منفذاً أفضل من بشار الكيماوي، ونظامه، لعمل ما لا يستطيع عمله بنفسه؟ إنه حقاً القاتل الضرورة.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذه الحاجة الغربية، «أخلاقياً» إلى قاتل ضرورة من عيار هذا المعتوه، بل يتجاوزها إلى حاجة سياسية، هذه المرة، لدى جميع الطغمة الدكتاتورية والسلالية في إقليمنا، سواء تعلق الأمر بنظام السيسي في مصر، الذي يزود القاتل ببعض السلاح (الفاستد)، أو بدول تزود فصائل جهادية مناهضة للنظام بالسلاح، كالسعودية وقطر. القاتل الضرورة يقوم بمهام تفوق كثيراً قدراته العقلية.

مرّت قرابة خمس سنوات على بداية المقتلة السورية الكبرى، ولم يشبع النظام الكيماوي من دم السوريين. تغيّرت الظروف، منذ 15 آذار 2011، في سوريا ومحيطها الإقليمي وفي العالم كله، وما زال القاتل مستمراً في قتله بهمة لا تكل. ولم يوفّر سلاحاً بحوزته إلا واستخدمه، بل استورد المزيد لتدمير سوريا على رؤوس سكانها الذين شرّد أكثر من نصفهم وقتل فوق ثلاثمئة ألف، إضافة إلى المعوقين الذين قد يتجاوز عددهم المليون ولا أحد يهتمّ بهم.

كل ذلك والدول القادرة على قطع يده وكفها عن القتل لا تكتفي بالتعاس عن ذلك، بل تظهر حرصاً شديداً على منع إسقاطه. ليس فقط روسيا وإيران اللتين اصطفتا إلى جانبه، منذ اللحظة الأولى للثورة، حليفين مخلصين دعمته بكل ما يلزم لينتصر على سوريا والسوريين، بل كذلك تلك الدول التي اجتمعت في منتدى «أصدقاء الشعب السوري»، من دول عربية وإقليمية زوّدت فصائل المعارضة المسلحة ببعض المال والسلاح، وصولاً إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. وإذا كان الأب المؤسس للنظام الكيماوي قد مرّر مجزرتة التأسيسية في حماة وحلب وجسر الشغور ودير الزور وسجن تدمر، بين العامين 1980-1982، بصمت، فقد عزونا ذلك إلى الشروط الدولية لعصر الحرب الباردة، وضعف قدرة الإعلام النسبية، حينذاك، على نقل وقائع المجزرة إلى الرأي العام العالمي، وإلى إسلامية التمرد وعنفه المسلح منذ البداية. ولم يتوقع أحد أن ينسحب ذلك الصمت الدولي على المجزرة الجديدة التي تفوق فيها الابن المعتوه على الأب الماكر، في ظروف الإعلام المفتوح و«العالم قرية صغيرة» توحد شطراه بعد سقوط جدار برلين تحت رايات «اقتصاد السوق» و«حقوق الإنسان» و«مكافحة الإرهاب».

والحال أن ما يسمّى بـ«العالم الحر» خصوصاً، أثبت قدرة مدهشة على التكيف مع فظاعات النظام الكيماوي التي لم تقلّ مشهديات عن فظاعات داعش التي وحدت العالم ضد هذا الأخير. إذا تركنا جانباً البراميل المتفجرة البدائية التي يلقيها على مدن وقرى أهلة بالسكان وعلى مستشفيات ومدارس وطوابير واقفة أمام أفران، وكذا استخدامه المتكرر للسلاح الكيماوي ضد المدنيين، قبل تسليم جزء من مخزونه منه وبعده، تكفي تلك الصور الموهلة التي سربها «سيزار» لأحد عشر ألف معتقلاً تمّ قتلهم بوسائل تعذيب فظيعة، وعرضت في عواصم الغرب.. تكفي لاستنهاض أشد الضمائر بلاذة وموتاً.

لكن ذلك الغرب الذي زعم وقوفه إلى جانب تطلعات الشعب السوري في الحرية والكرامة، بدلاً من أن يتخذ موقفاً حاسماً يرغم القاتل على وقف القتل (ناهيك عن السماح بإسقاطه)، اكتفى بـ«إدارة الأزمات» طوال سنوات، ليصل في نهايتها إلى القبول ببقاء رأس النظام نفسه ولو لفترة



بكر صدقي

العدناني الجزل

ناصر عنتابي



تحت عنوان «قل للذين كفروا ستهزمون» نشر تنظيم داعش مؤخراً آخر خطب ناطقه الرسمي طه فلاحته، أو من يعرف بأبي محمد العدناني. وفي حين لم تختلف هذه الخطبة عما سبقها من حيث الأسلوب، فإن النقاط التي ركز عليها العدناني تعكس عقلية التنظيم في مرحلة ما بعد التدخل الروسي، وتلخص الحالة الذهنية لقياداته عموماً.

أيضاً حينما يكيل فلاحته بنهم المديح والغزل لتنظيمه، أي لنفسه، «فمن يلتحق بصوف الدولة يجذبه ذلك النور، ويثبته المنهج الراسخ الذي نهجه قادة الدولة وحمله جنودها في الصدور، حتى غدا ذلك المنهج صمام الأمان». ولا شك أن مفردات كالمناهج الراسخ وصمام الأمان سبق وأن شاهدها الملايين في سوريا على الجدران لوصف «منجزات الحركة التصحيحية» وحافظ الأسد وابنه.

رثاء الداعشي الكبير

بعد طول نفي من مناصري التنظيم على شبكات التواصل؛ أكد العدناني في كلمته أخيراً خبر مقتل من أسماه أبي معتز القرشي. إذ كان البيت الأبيض قد أعلن في أواخر شهر آب الماضي عن مقتل فاضل الحياي، وهو الاسم الحقيقي للعقيد البعثي الصدامي السابق، الذي شغل منصب نائب البغدادي، قبل أن يكني نفسه بالقرشي تماهياً مع منصبه الجديد، ويقتل مع أحد كبار مسؤولي التنظيم الإقليميين في غارة أمريكية قرب مدينة الموصل.

يكثر العدناني من الشعر في رثاء قتيله الكبير، وكذا يفعل في مختلف المواضيع والقضايا التي يتناولها، ليدعم آراء يعرف أنها في عالم خيالات التنظيم لا في الواقع. إذ إن هذا الواقع يجبره ورؤساءه على التسردب خوفاً من مصير يلحقهم بمن يرثون، ولن ينفع التخفي ولا طول اللسان ولا الخطابة في تجنب ذلك طويلاً.

إن لم يحكم بشرع الله فليس ثم محرر». وفي سياق الحديث عن حرب التنظيم على المناطق المحررة يعدد فلاحته الفروق بين الفصائل والتنظيمات، لكن «فاعلموا أننا لا نميز بين هذه الأصناف والمقاصد؛ وحكمهم عندنا بعد القدرة واحد: طلقة في الرأس فالقة أو سكين في العنق حاذقة».

البعث في الخيلة

لا يخجل الدواعش عموماً من التصريح باحتكار «دولتهم» للإسلام، وهذا ما ساقه العدناني ذاته كدليل على كفر مخالفي تنظيمه. ولا يخلو الخطاب العام للتنظيم من الحديث عن انتمائه إلى عصر دولة الإسلام القديمة المتخيلة وفق الطريقة الداعشية، لذلك يحشر الخليفة اسمه بالنسب القرشي. وكذلك يفعل من استطاع من نوابه، ليجسدوا أمام مناصريهم بشكل «واقعي» هذه العودة إلى الماضي، «فإن كنتم تريدون شرع الله فلا يقام شرع الله إلا في ظل الدولة الإسلامية». لكن، بالمقابل، يحتاج هؤلاء أيضاً إلى أمجاد تصل بين ذلك الماضي القديم والحاضر، فما عساهم أن يفعلوا؟ يسوق العدناني شاهداً وحيداً يدل به على «تاريخ» التنظيم في هزيمة أمريكا بقوله: «فقد جرجرناك إلى حربين في خراسان والعراق نسيت بهما أهوال فيتنام». وبهذا ينسب القتال الذي خاضته طالبان (التي يكفرها) والكتائب العراقية المختلفة (التي قاتلتها) إلى نفسه، مصوراً ذلك كمنجزات «للدولة» الفردوسية على طريقة حزب البعث. كما يظهر ذلك

كفار الدرجة الأولى والثانية

التزاماً منه بشرح عنوان خطبته؛ يبدأ العدناني تعداد الكفار الذين يتوعدهم بالقتال والهزيمة، لتشمل قائمته الصليبيين، والروافض، والعلمانيين، والمرتدين، واليهود، والكفار أجمعين، وفق تعبيره. لينتقل سريعاً إلى الحديث عن كيف «تحطمت أسطورة أمريكا التي لا تقهر، وبان عجزها وضعفها ظهر»، مستدلاً على ذلك بتمدد التنظيم إلى تدمير والسخنة والقريتين. فيما يقطع الشك في مسألة نزول أمريكا وحلفائها إلى الأرض لاحقاً بقوله «حتى تنزلوا بدابق الذي فيه بإذن الله ستكسرون، وتهزمون وتغلبون... ولتكون نهاية أمريكا وخرابها». وبعد تبين حال أمريكا المستسلمة لقدرها يعرض فلاحته «عليها» حالاً واقعياً: «فإن أردت أقل الخسائر فعليك دفع الجزية لنا والاستسلام». وهنا ينتهي دور أمريكا وروسيا، التي ذكرت 4 مرات فقط في الخطاب لا بصفتها تشن عدواناً على المدنيين وكتائب الجيش الحر وتستثني داعش، وإنما بكونها من جملة من تستجديهم أمريكا ليساعدها بعد أن هزمت. لينتقل العدناني بعدها إلى الحديث مطوّلاً عن «فصائل الردة والعمالة» الذين نالوا النصيب الأكبر من الشتائم والوعيد، كاشفاً بذلك عن أعداء التنظيم الحقيقيين ونواياه تجاههم بقوله: «سنفرك الجماعات ونشق صفوف التنظيمات. سنقاتل الحركات والتجمعات والجبهات. سنمزق الكتائب والألوية والجيش حتى نقضي بإذن الله على الفصائل؛ نعم وسنحرر المحرر، لأنه

«مواقف وعبر من السيرة والتاريخ»

■ محمد عثمان

صدر هذا الكتاب عن ديوان التعليم في تنظيم الدولة الإسلامية، وقد كُرس «لتطوير المعلمين والمعلمات»، كما جاء على غلافه. وبخلاف كتيبات التنظيم ومطوياته الأخرى، التي تتناول جوانب جزئية، اتسم الكتاب بعرض شامل لأفكار التنظيم.

على طريقة المؤرخين المسلمين يتناول الكتاب التاريخ منذ بدء الخليقة، مروراً بعهد النبوة، وصولاً إلى عصرنا الحالي، مركزاً على القرن الفائت منذ انهيار الدولة العثمانية. ولدى عرض التاريخ الحديث للدول العربية والإسلامية، الذي يأخذ حيزاً كبيراً من الكتاب، يبدأ الحديث بالعراق ثم سوريا وتليهما أقطار الوطن العربي. ويمرّ العرض بأهم المحطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفيها يستعمل اللغة الحديثة، فنقرأ: «تطور الحركة الوطنية» و«التيار العربي التحرري» و«اضطهاد صدام حسين للشيعنة»، إلى جانب «الأمم المتحدة وتدويل القدس» و«انتصار الجيوش العربية في حرب تشرين». كما تنتشر المصطلحات المترجمة: كالطبقات المثقفة، وحياة المجتمع السياسية، وصراع البقاء، والطبقة العليا والدنيا والوسطى، والنسيج العرقي، وحقوق الإنسان (عند الكلام على الأقليات المسلمة المضطهدة في بعض الدول الآسيوية). وتظهر في العرض، بين حين وآخر، عبارات وعظيمة واتهامية وساخرة، بالإضافة إلى الكثير من الإحصائيات والتواريخ الخاطئة، بما في ذلك تواريخ الأحداث القريبة؛ فحافظ الأسد -حسب الكتاب- حكم سوريا من 1970 إلى 1998، وصدام حسين -الذي يحسب له الكتاب أنه أقام «دولةً حديثةً ومتقدمةً وجيشاً قوياً مجهزاً»- تسلم الحكم 1968. كما أن دولتي الصومال وموريتانيا لا تجدان لهما مكاناً بين الدول العربية!

ثم ينتقل الكتاب من الدول إلى الحركات الإسلامية؛ كالإخوان المسلمين وفرعها حماس، والجماعة الإسلامية في الجزائر، وغيرها. فيعرض تاريخها ويبين رأيه فيها، مسلطاً الضوء على «انحرافاتهما». ويخصّص الكتاب، الذي يقع في 224 صفحة، 11 صفحةً للكلام على جماعة الإخوان المسلمين، و13 للجماعة الإسلامية. وكان قد خصّص 16 صفحةً للسعودية،

بينما عرض تاريخ الأنبياء في 10 صفحات، وعهد النبوة في 14. بالوصول إلى نهاية الكتاب تظهر فرضية التنظيم عن انهيار الغرب وعودة الحضارة الإسلامية، بالاستناد إلى أحاديث نبوية، وفكرة ابن خلدون عن أعمار الدول، وأرنولد توينبي عن تداول الحضارة بين الشرق والغرب، للوصول إلى أن ظهور «الدولة الإسلامية» هو أول بشائر عودة هذه الحضارة. والجدير بالملاحظة أن الكتاب يختصر بالغرب جميع «المشركين» بحسب تصنيفه، كما أنه يعبر بالشرق عن المؤمنين به والذين «يحملون مورثات الإصلاح».

رغم أن «مبادئ الاجتماع» لدى التنظيم، و«رؤيته السياسية»، غير مطروحتين على نحو منظم في الكتاب، بسبب الاستطراد في العبر، لكن ليس من العسير تجميعهما من استشهادات التنظيم خاصةً بسيد قطب. فالكتاب يقسم البشرية إلى «مؤمنين ومشركين، يستحيل أن يتعايشوا أو يعيشوا دون خوض صراع أبدي بين الحق والباطل نابع من الصراع بين الخير والشر»، «فإما أن يدوب أهل الحق ويتركوا أصل دينهم ويندمجوا مع أهل الكفر، وإما أن يدوب أهل الكفر ويدخلوا في دين الله أو يرضخوا لأهله». كما أن عبادة الله «لا تتحقق في جميع مجالات الحياة إلا بإقامة دولة إسلامية»، «تجتمع تحت رايتها الكلمة». وإذا كانت الجماعات

الأخرى -المقصود القاعدة- «ركزت على النكايّة في الأعداء واستنزافهم فقط»، فإنه «لا بد لأهل الحق من بيئة ومكان يجتمعون فيه على دعوة الحق والعمل به». هذه البيئة هي «أرض الخلافة التي يجب أن يهاجر إليها أهل الحق ليحققوا معاني العبودية» والولاء والبراء، وهما «شرط إيمان المؤمنين»، والجهاد الذي هو «فرض عين على أمة الإسلام». وهذه الدولة وريثتها دولة الخلافة بعد مقتل عثمان، لأن الدولة الأموية وما بعدها قائمة على القهر والتغلب. ومنها «منطلق الجحافل التي يزيل الله على يديها ظلمة الكفر وحومات الردة»، و«ييسط حكمه وشرعه بين العباد». وقبل ذلك ستحارب «الشيعنة والمنصوفة والعلمانيين والديمقراطيين والبعثية والاشتراكية... والحركات الإسلامية المنحرفة، تحت قاعدة «تقسيم الأعداء والتركييز على العدو الأكبر».

لم يستطع الكتاب استلهاج الكتب الحديثة رغم أنه استعار مصطلحاتها وأساليبها، كما لم يستطع تقليد الكتب القديمة بالمحافظة على تقاليدها في إسناد الرواية. وبالنظر إلى حصر توزيعه على «نخبة المعلمين» يمثل الكتاب أقصى ما يمكن أن يقدمه التنظيم لرعاياه. وبالتالي فإنه يعد، من هذا الوجه، تفنيداً لافتراض البعض امتلاك التنظيم «لبنوك عقول متقدمة في جميع المجالات».



مناهج دراسية لتنظيم الدولة

القرويون في معاقل الأسد يرون في الروس مخلصين



كثيرٌ من السوريين في طرطوس واللاذقية ينظرون إلى فلاديمير بوتين كصديقٍ مخلصٍ سيضع نهايةً للحرب.

لنذري هيلسم
الغارديان/ 4 تشرين الأول
ترجمة مأمون حلبي

يقول خليل يوسف (25 عاماً) وهو ما يزال في بدلته العسكرية، يعالج ذراعه المضمدة. «أصبحت في وجهي، لكن بعد أن شفيت أعادوا إرسالني إلى وحدتي. بعد ذلك تعرّضت لإصابة في يدي، لذا أرسلوني أخيراً إلى قريتي». بعد أن تمّ تسريحه أصبح يتلقى 45% من مرتبه العسكري.

الروس هم أبطال الساعة. الناس يُحيون الأجناب القلائل الزائرين بـ«دوبري دن» روسيةً مبهتجة، ويعبرون عن حماسهم للرئيس بوتين، الذي يعتقدون أنه سيخلصهم من الإرهابيين. قد تستطيع الحملة الجوية الروسية طرد المتمردين الذين كانوا بدأوا يهددون الشريط الساحلي حول حماة وحمص، لكن المشكلة تكمن في السيطرة على الأراضي. القوات البرية الروسية تُعزز بقوات من فيلق القدس الإيراني وحزب الله اللبناني، لكن السعودية تعهدت بإرسال مزيد من المعدات إلى خصومهم، مما زاد من فرص حربٍ تتوسع وتصبح أكثر دموية.

في اللاذقية وطرطوس، المحميتين من نزاع مَرَق سوريا، يمتلك الناس فكرةً بسيطةً جداً عن الكراهية للأسد التي يشعر بها أولئك الذين يعيشون تحت البراميل العشوائية والتي يلقيها النظام على مناطق دمشق وإدلب وحلب الخاضعة لسيطرة المتمردين. إنهم يجرؤون، وهم يمدون رقابهم ليشاهدوا النفاثات المقاتلة تنطلق مسرعةً فوق رؤوسهم، على أن يأملوا -بخلاف كل الدلائل- أن الحملة الجوية الروسية تؤشر إلى بداية نهاية الحرب.

الناس الروس أصدقاء أوفياء ساندوا سلالة الأسد لمدة 45 عاماً، وبعد 4 سنواتٍ من الحرب الأهلية، ها هم يهبون لنجدة هذه السلالة. يقول مندر عبد الله، وهو موظفٌ حكوميٌّ: «وصلنا إلى نقطةٍ وقف فيها الأميركيون والسعوديون ضدنا، فطلبنا المساعدة لنتهي هذه الحرب. جيشنا وقيادتنا متعبون، لذا نحتاج إلى مساعدة الروس لتتخلص من أعدائنا».

لم تصل الحرب إلى اللاذقية وطرطوس بعد، لكن شبان المنطقة ذهبوا إليها. قرية النجيب، التي تقع في محافظة طرطوس، فقدت حتى الآن 147 جندياً، بينما أصيب 52 جندياً منها بجروح خطيرة. في إحدى أمسيات الأسبوع الماضي تجمعت أسر الشهداء، وهذا ما يعرف به موتى الحرب، لإحياء ذكرى أولئك الذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن قضايا الأمة وعن القائد. الجميع موالون، لكن بعضهم يشعرون أنه قد طلب منهم أكثر مما ينبغي. أصرت زينة طيان (70 عاماً) على زيارة الصحفيين طلباً للمساعدة. قالت إن اثنين من أبنائها قتلا: «بعد أقل من 3 شهور أخذوا ولدي الأخير إلى الجندية. أتستطيع إقناعهم بتسريح ولدي؟ نحن جميعاً نقوم على خدمة البلد والرئيس، لكنني أريد عودة ابني». في تموز الماضي اعترف الأسد أن الجيش يعاني «نقصاً في القدرات البشرية». ورفعت القوات المسلحة الحظر على ضمّ الرجال للجيش من العائلات التي فقدت ابناً. كثيرٌ من الشباب الذين يهربون من سوريا قاصدين أوروبا يفرون من الخدمة العسكرية التي تمّدد بشكل متكرر. «كنت في نهاية خدمتي لكنهم لم يسرحوني»

مدينة جبلت مكاناً جيداً لمتبعي حركة الطائرات. في الأسبوع الماضي أقلعت أعدادٌ كبيرة من القاذفات المقاتلة -سوخوي 24، 25، 32- من قاعدة باسل الأسد الجوية، التي تقع على بعد أقل من ميل واحدٍ من المدينة. كانت الطائرات تهدر في سماء خريفية غائمة وهي تتجه إلى أهدافها في شمال وشرق سوريا. طوال الأسبوع كانت طائرات توبوليف للنقل تهبط آتيةً بالرجال والعتاد. وجنوباً، على بعد 50 ميلاً في ميناء طرطوس، ترسو سفنٌ روسيةٌ محملةٌ بالذخيرة وبيماداتٍ أخرى من أجل الحملة الروسية الجديدة التي ترمي إلى طرد أعداء الحكومة السورية. يقول أهالي المنطقة إن الطريق الساحلي غالباً ما يكون مغلقاً في الليل لكي يتم نقل الأسلحة من القاعدة البحرية الروسية إلى المطار. ليس لدى هؤلاء الأهالي شكاوى. لا أحد منهم يكثر من أن الروس قالوا إنهم سيستهدفون تنظيم الدولة الإسلامية لكنهم يضربون مجموعات المتمردين الأخرى. فكل أعداء الحكومة يُعدون إرهابيين بالنسبة إلى أهالي هذه المنطقة.

سميت القاعدة الجوية العسكرية التي يستخدمها الروس باسم شقيق بشار الأسد. والدهم الراحل، حافظ، كان قد رشح باسل كخليفة له، لكن ابنه الأكبر مات في حادث سيارة، ما جعل بشار الخليفة التالي. حافظ وباسل مدفونان في ضريح عملاق له أرضية من المرمر الأسود على بعد بضعة أميالٍ في أعلى التلة. صور حافظ في كل مكان في المناطق الساحلية، معقل الولاء للنظام، ومعقل الطائفة العلوية. في هذا المكان، يعدّ

صور من أرض الخلافة

قبل الطرد»، في كل مرة يتذكر فيها الإصابة التي تجعله لا يستغني عن العكاز ولا يستطيع أن يجلس قبل أن يهيئ مقعداً يراعي الصفائح المعدنية المثبتة على فخذه المحطم «مثل الملح» كما يقول. وبالعكاز والفخذ المحطم، وبورقة رسمية مزورة، نجح أبو عمارة في تزيغ نفسه في قسم التفخيخ، حيث لا يقوم بشيء في المقر سوى شرب الشاي والوضوء كل حين وآخر بانتظار صلوات الجماعة. ومساءً لا بد من الأتس ب«العلمانيين» في شقة العزاب التي يعتبرها جوّه الخاص الذي يتميز به عن باقي الدواعش الذين يأخذون الأمر على محمل الجد، ولا يكسبون سوى عداوة الناس وكرههم.

في صفوف داعش ينتمي أبو عمارة، أو حناش، وهو اللقب الأول والمحبيب له، إلى النوع الذي يعدّ التنظيم مجرد قطاع عام يجب على المرء الانتساب إليه وسرقاته بقدر ما يستطيع، والبيعة طلب وظيفية إجبارياً وفاتحة سلسلة لا تنتهي من الرواتب الشهرية المتلاحقة. الراتب هو الحقيقة الوحيدة التي يحترمها في عالم داعش، وما سوى ذلك وهمّ وتصغير عقل ونفاق.

في أيام الصفاء، حين لا يتغطرس مهاجرٌ عليه بشيء من الأوامر الشاقة أو يعيق تحاييله للانصراف باكراً، يكون حناش في مزاج رائع جداً. يتجاهل كل شيء وينطلق في ثرثرة مرحية عن حبيباته في «العسكرية»، اللواتي كن يقعن دوماً في غرامه مع أول تصرف شهيم يبدر منه أو أول ساعة إهمال يفتعلها للإيقاع بهنّ. وقد يستطرد عن قصص الحب باستعراضات جانبية، مثل خبرته النادرة بسلالات الكلاب وصيد طيور الحرّ والتخيم لأسابيع في البرية شتاءً وعلى ضفة الضرات في الصيف.

الأيام التي يكون فيها غاضباً من رؤسائه في التنظيم، أن ينتقدهم، وبالطريقة الوحيدة التي يعرفها ويحبها وهي شتم أمهاتهم وأخواتهم. وفي كل زيارة يتذكر قضيته الرئيسية مع والي البركة الذي أعاق لأشهر حقه الطبيعي في الانتقال إلى ولاية الخير بعد إصابة بليغة في معارك الحسكة، وماطل، مرة بعد مرة، في عودته بالموافقة على النقل، قبل أن يهتمه بأنه «متقاعد وجبان»، ليرد أبو عمارة -حسب زعمه- على الوالي: «وانت كذاب»، في المواجهة التي أسفرت عن نتائج مختلفة: «سجن لمدة شهرين» و«صدمة» و«صمت» و«موافقة» و«ضرب مبرح بعقب البندقية

«حطولنا عالورينت» هو الطلب الذي يكرّره أبو عمارة الأنصاري كلما زار أصدقاءه الذين يسميهم «علمانيين»، معتبراً مشاهدة الأورينت رسالة تطمئن الأشخاص الذين يلتقيهم لأول مرة إلى أنه متحرر ومتسامح إزاء خرق ممنوعات داعش. وهو العامل الرئيسي في الود الذي يبديه الأنصاري لقريبه وصديقه صاحب البيت الذي تحوّل إلى نادٍ للمدخنين السريين، حيث يمكنه أن يدخن و«ياركل» وأن يسمع الأغاني، العراقية منها على وجه الخصوص، مع دفعة إضافية من التحرر بالبحث عن لقطات فاضحة في قنوات التلفزيون. ويمكنه أحياناً، في



مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina

/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

